العربى هذا الإحساس بكرامة التجربة الحميمة والعلائق الذاتية ، وهواجس الحلم الوضيئة ـ كل هذا دفع الأستاذ أمينا إلى القول فى الجانب العامى من اللغة . كان يرى أن طريقة نظرنا إلى العربية تحتاج إلى تعديل أساسى . . ولا معنى أن نتصور نظاما للبلاغة لايجعل هذا همه الأكبر ، وذهب فى صراحة التعبير مذهبا ، فقال إن لدينا شيئا من التنافس أو التصادم بين بعض المستويات اللغوية ، قال إن اللغة العربية لاتدرس من خلال التشابك وعلاقات السلم والصراع بين جوانبها المختلفة ، قال من الواجب أن نواجه هذه المسألة مواجهة أمينة . وقد تساءل الأستاذ الدكتور محمد العلائى فى تقديمه لكتاب شيخنا أمين قائلا : هل كانت حياة المستوى الفصيح ـ دائما ـ سوية . هل كانت علاقة بعض أنماط اللغة بالوجدان الجماعى موصولة مثمرة دائما . هل درست العربية من خلال الشعور بالتوزع بين لغتين إحداهما تستعمل فى اليقظة والمنام ، والثانية تستعمل فى بعض التواصل بين الفرد والجماعة ؟

كان منطق الأستاذ أمين وبعض تلاميذه أن دراسة التواصل ، بين أنماط اللغة جزء لايتجزأ من عافية النفس أو عافية اللغة ، إن عافية اللغة ليست حالة ثابتة ، وإنما هى الأخرى تجارب لاينسخ بعضها بعضا . .

كان الأستاذ أمين فى هذا الإطار الذى أومأنا إليه يتساءل سؤالا أساسيا ، هل نستطيع ـ فى كثير من الأحيان ـ أن نعرف معرفة حميمة مضيئة معانى كثير من الألفاظ ؟ كان يرى أننا لا نحب أن نعترف بأننا ندرك دلالات الألفاظ فى كثير من الأحيان إدراكا سطحيا . كان يرى أننا نعرف ـ غالبا ـ قشور معانى الألفاظ . حقا إن الأستاذ أمينا لم يحتج لهذا احتجاجا عمليا ، فقد كانت أحلامه أكثر من أن ينهض بها فرد واحد . ولكن يمكن أن نزعم أن دعوته إلى أن يهتم التلميذ بالعبارات الحميمة التى يستعملها حين يتعلم الكتابة ـ مثلا ـ دليل على أننا لا نعرف على التدقيق ماذا تعنى عبارة مشهورة مثل كثير الرماد (٦) . كان الأستاذ أمين يوحى إلى قارئه بأكثر مما يقول فى صريح العبارة .

---

(٦) أرجو أن أقول هنا إن الشرح المتعارف لهذه العبارة غير مقنع تماما . صحيح أن كثرة الرماد تدل على كثرة الطهى ، وكثرة الطهى تدل على كثرة الضيوف . كل هذا قد يكون واضحا ، ولكنه لأمر ما لا يمس قلبى ، وقد يكون السبيل إلى توضيح الموقف مرتبطا بتتبع كلمة الرماد واستعمالاتها فى الشعر والحياة العربية قبل الإسلام والإفادة بوجه ما من ظروف إبقاء النار والاحتراق . وليس المقام هنا مقام تفصيل لهذه الجزئية راجع الفصل الأخير من كتابنا خصام مع النقاد .